

وحدى أربى صغار الشوق

(ق ق ج)

زىنب إبراهيم الخضيرى

م ٢٠١٩

في البدء كل شيء ضاح بالجزع والخوف والترقب،
وفي انتصاف الحكاية ثمة مكسب وخسارة، حب، وانتظار،
وجع، وفراق، ثم نسيان، وفي البعيد هناك حيرة من
أن تبدأ بصمت، وتشتاق للصعود مجدداً، هي غصة الحياة
التي تهدينا الاغتراب في وطن الروح.

زينب

حلم

كان يغني: يناير شهر الميزانية والأمل،
ولكن ضريبة الدخل ضربت أحلامه.

موت مؤجل

غطى وجهه بالصحيفة ليحميه من لفح رياح فبراير،
قرأى اسمه مكتوباً في صفحة الوفيات.

شهادة

تخرج من الجامعة
قدم على وظيفة
ثم ضُبط يبيع الأحلام.

موظف بنك

يعمل موظف بنك وكلما
لمست يده رزم النقود
ازداد شعوره بالفقر
وضاقت نفسه من نفسه
وأوصد الحلم أبوابه أمام المجهول.

فخ

قدم أوراقه على البنك ليحصل على قرض
بقي القرض يجر القرض
والفقر يجر الفقر
والحياة تبتسم للأغنياء.

سعادة ناقصة

فشل في البحث عن السعادة، وكلما أعاد الكرة
ارتطمت (كرة) أحلامه بعارضة الواقع.

أصدقاء

كثُرُ أصدقاءه...!

و عندما محّصهم وجدهم في (غيابة الجب)
يفتشون جيوبه.

مبادئ

اعتنق الاشتراكية
هلل لها، كتب عنها،
ثم غادرها بسلام مع أول قطار لبلاد الإقطاعيين.

حوالة

في بهو الفندق، يشرب الكابتشينو، ويأكل فوندو ويكتب عن الفقراء والمسحوقين، عن حقوق المرأة، والفساد، سمع رنة من جواله تم إيداع () تناول سيجاره الكوبي وبدأ يفكر أين يقضي إجازته.

منطق

لا يؤمن بالأدب، ولا بالطب، عاش يتجشم الفلسفة، واقترح سلسلة دروس في الفلسفة، كانت زوجته في ركن قصي تكتب له أطروحاته ومداخلاته، وهو ينظر إليها بغضب ويفكر ماذا ستطبخ له على الغداء.

نظام

يطنطن بوجوب تطبيق الأنظمة والقوانين، وعندما تعلق الأمر به وألزم بدفع غرامة، حارب مشرع القانون.

ضمير نائم

يصحو متأخراً كالعادة للحاق بموعد البصمة، يلحق سيارة الإسعاف ليتخطى الظلام، يصل متأخراً، يبصم، ثم يكمل نومه في المكتب كأبي مواطن ذبلت أخلاقه.

عتة

قضم أنامل الانتظار بأسنان الواقع،

كسر كأس العتاب،

ابتلع أقراص القلق

فأصيب بلعنة التأويل.

إشاعة

الإشاعة التي أطلقوها كانت مثل الحمل الكاذب آلمته، استهلكت حيزاً من حياته، وتركته نهياً لؤخزات الضمير يحصي حساباته المتضخمة في البنوك.

أبناء

حلف ألا ينجب إلا طفلاً واحداً حتى لا يصاب الكون بالتخمة البشرية.

صمت موجع

ذهب إلى طبيب الأسنان

فتح فمه فأصبح مطلوباً،

أغلق فمه فأصبح مقهوراً،

خلع قاموس (طقم) كلماته ورماه على قارعة الصمت.

مواصفات زوج

طموحه زوجة ثرية،

وطموحها زوج (ثري) بالحب،

مات طموحها بعد أن دعسته قاطرة الحياة.

هزيمة

انتصر على أقرانه،
زملائه في العمل،
أبناء الحي،
وعندما أراد أن يحتفل هزمه غروره.

تسول

حمل قلمه وذهب للصحيفة يريد أن يصبح كاتباً، وعندما لم يسمحوا له بالدخول، رمى ورقة من تحت باب رئيس التحرير مكتوباً فيها:
السيد رئيس التحرير، المجلد، الموقر، العظيم..... إلخ: أنا لا أتقن المديح ولكنني بارع في فتح أبواب الشياطين.

مخاتلة

في بيت والدته: القطة تموء.. الخادمة تبحث عن مكنسة.. وأخته في غرفتها
تشذب أظافرها، وأخوه يدور حول الخادمة.. والجدة تسأله:
متى تتزوج؟؟

تزوير

عمل أمين مكتبة، دوّن التاريخ، فسرق الماضي.

شجار

تشاجر مع مديره،

فتضاربت المصالح،

غاب الزملاء،

حضر الشيطان يغني.

قلم

تنبه أن له قلماً ناسفاً للأفكار،

ولكنه يكره أن تكون الكتابة

فعالاً يمارسه بروتينية،

ضغط القلم فانفجر لُغم الأحلام.

مبدعون

في محفل ثقافي وجدهم كلهم مبدعين،
فأصابه فيروس الإبداع،
وعندما همّ بتناول الدواء
فتح عينيه عن حلم مزعج.

قلق

كان لا ينام حتى يسمع صوتها،

ولأنه لم يسمع صوتها ليلة البارحة لم ينام،

فكدس مشاعره، على مكتب كبريائه،

وفتح كتاب تفسير الأحلام حتى لا يلوم النوم.

شبه

قابل امرأة تشبه (والدته)

أهداها عطر اللحظة،

وأهدته ندامة العمر.

مختلفة

فكر في امرأة لا تشبه النساء،

لا تتعاطى مع الموضة،

لا تحب الورد،

ولا خواتم الألماس،

فاكتشف أنه يبحث عن (رجل).

إعلان

قال لها: سأكتب كتابنا على ورق الصحف،
وأوزعه مع قناني الحليب في الصباح،
لأخبر العالم بأنني تزوجت الصباح.

سفور

طلب منها أن تغطي وجهها،

فغطت أحلامها،

وقابلها عند منتصف ظهيرة العمر.

ظهيرة

تأتي الظهيرة ذات البشرة الدهنية،

محملة بحقائب الحزن،

فتأخذ قبولتها،

عند منعطف الصمت وتمضي.

تراجع

استبدت به الحيرة، فكتب ثلاثة أهداف لهذا الأسبوع،
خالطه الملل فمسح الهدف الأول،
أصابه النعاس فشطب الهدف الثاني،
اتصل به صديقه فمزق الورقة.

سرقة

حلم بجمع مليون ريال، عمل بائعاً، ومسوقاً،

خبازاً، ومقاولاً، مارس السمسة

جرب كل شيء فلم يصبح مليونيراً،

لأنه لم يتعلم كيف يسرق.

ورطة

قبّل يد مديره

فقَبِل استقالته.

شرف

في زاوية عابرة، وحزن مستقر،

شرب الشرف ليصبح مثل بقعة زيت سوداء

فوق وجه الفضيلة.

أيدولوجيا

تطرف في مشاعره وأفكاره،

لم يحدث له شيء،

ولم يكف أذاه عن الآخر،

ولم يدخل النار...!

تجميل

فكر في أن يجري عملية تجميل لأنفه القبيح
توقف أمام المرأة وهو يشعر بالحسد تجاه أعز أصدقائه،
كان يحتاج لتجميل قلبه قبل أنفه.

تعاسة

بابتسامة حائرة وقف يقايض الأمل لأنه فسر كلام كافكا عندما قال: "أحس بأنني على طبيعتي عندما أكون سعيداً بشكل لا يمكن احتمالته"، فقد تعب من كونه مزدوجاً.

بحث

وقف بجسده المترهل بعد أن نال كل أوسمة التعب، التفت إلى الماضي فلم يجد إلا نافذة تطل على الموت.

شهوة

تزيد شهوة الموت كلما كبرنا، وبين رحي الحياة يخط عُمر (عمره) بقلم
رصاص لتمحوه آخر ذرة من تراب.

مؤامرة

استحوذت عليه فكرة المؤامرة فخرج الطفل الخائف من
روحه وصفعه قائلاً:
أما أن لك أن تلبس ثوب الشجاعة وتقاتل المستحيل.

صورة

تقاطعت صورة الخوف مع صورة الحبيبة
في الذاكرة فوآد الحبيبة ولاذ بالفرار.

قدر

لثلاثة أيام متتالية يغزل في صوف القسوة حتى تفرق عنه الأحباب،
وتركه الأصدقاء، ثم غادر الدنيا وحيداً بلا تفاصيل تذكر.

فوهة

وما زال كل شيء صامتاً،
نظر إلى المرأة، أفزعتة التعرجات العميقة التي ظهرت على ملامحه، فتيقن
أنه قرب الرحيل.

رتق

زين جروح يُتمه بالعمل،

عمل

عمل

و عمل

وما زال يتيمًا يذروه اليأس.

ثاني

امرأة، تحاول رسم مدينة من الجمال،
ورجل طائش يحاول محوها،
وما بينهما تموت الأحلام.

مال

لم يكن سعيداً أبداً، ولم ينظف أسنانه منذ شهر، يسعل بشدة، ويدخن بشراهة، بعد تفكير عميق اكتشف أنه يفتقد المال أكثر من صحته.

فراغ

يردد: الجميع بحاجة للمال،
والمال لا يحتاج لأحد،
إنه أمر مستفز، وعلامات الاستفهام
تكبر وتتمدد في رأسه، عالمه مليء بالأمنيات،
يبتكر الحديث، يتلاعب بالوقت، ولا يجد وقتاً ليعمل.

موت

فكر في الانتحار،
حضرت الفكرة،
غابت الفكرة،
فأقام في بلد عربي.!

شاعر

قال وهو يمسح نظارته الرديئة الصنع: نحتاج إلى رجال مهمتهم تصحيح ما
دمره المادحون، دخل صديقه البرجوازي فأنشده قصيدة.

صراع

كان يجب أن يكون حضوره خصباً، وحيّاً، وعنيفاً،
فدخل في لعبة الطموح فخسر اللعبة.

ثقة

كان يؤمن بصديق واحد، وامرأة واحدة،

فوجد امرأته الوحيدة تخونه مع صديقه الأوحده.

ثقافة

شرح بقراءة رواية "الغرفة الحمراء" لتساو تشين،
ليتعرف على الثقافة الصينية، فاكتشف أنه
لا يعرف عنهم إلا البضائع المقلدة.

وصية

كانت أمه شاهقة في القص، قالت له ذات مساء:
الموت سفر لا يعود منه أحد، فاقشعر بدن اللحظة.

شعرة بيضاء

وقفت على جفن الأيام تحلم كعجربة لا تتعب من الترحال
ولا ترتوي ذاكرتها من المكان، ولكن لف الزمن خصره
على قلبها و ابيض شعرها، وتجعدت ملامحها،
وهي ما زالت صبية تتسلق الأحلام.

تناقض

كان متناقضاً فالمطر يجلب له الكآبة، بينما نور الشمس يعتقد أنه لا فائدة منه. عقله في بغداد بمعية علي بابا وقلبه مع فيفي عبده في الهرم، يسهر الليل، ويحب الصباح، يبدو أنه يعمل بعقلين.

سجن

حبيس سجن العادات، حبيس أفكاره الرجعية،
حبيس أقوال المجتمع، مات وحُبس في قبره.

ملخص

بعد أن قرأ لهوغو في كتابه "أسطورة القرون" محددًا الشاعر: "أنه العالم كله ملخصًا في شخص"، لخص حياته وعلاقاته وعمله بشخصه.

حرية

أشعل سيجارة ونظر إلى صديقه قائلاً:
الحرية هي التي تنشئ العمالقة والأبطال، هي ظرف يسمح لنا بالارتقاء،
في هذه الأثناء اتصلت به زوجته ورد عليها دون سلام: (لا).

رواية

حاول طرد الكتب من رأسه وفشل، وتذكر أن الروائي أشبه بحامل الكاميرا، حيث يسلط عدسته على العالم الخارجي، العالم المنعكس في مرآة صغيرة سرعان ما يصبح مملاً ومكروراً، تلمس روحه فوجد أنه مشوه من الداخل، أحس بالرعب، رمى بالقلم وهرب من نفسه.

صراع

كتب في جدول مواعيده: لم تكن أفكاراً وحسب، بل كانت رمزاً لكل أشواق الإنسان ومشاعره وعذاباته، هي الروح الخالدة، هي أشبه بالهمسة الساخرة من مثاليات الإنسان لا يمكن الوصول لها، لذلك لم يستطع أن يضغط إرادته تحت جوهر القانون.

انفصال

كان البكاء يهزها ولا تريد أن تكمل معه مشوارها، أحسّ بالهزيمة والضعف, ولكنه برر لنفسه فشله بأن كتب كلمات عزاء لها: الحياة أحياناً تغار من الهناء يا حبيبتي.

اختلاف

اكتشف تبصرًا مذهبًا في عملية اكتشاف الصورة الذاتية له. ولكنه ليس لديه إحساس محدد بما يقوم به، لفق له صورة جيدة, وبدأ عرضها على أصدقائه عله يحس بالتغيير.

صلاة

نادى بصوت عالٍ: سوف أموت الآن، وهرع إلى الصلاة،
لم تكن الصلاة إلا مكاناً آمناً يهرع إليه من هول ما أصابه،
كان مذعوراً، مرتبباً أطفأ الخوف عينيه ولم يعد للأمان سبيلاً.

باحث

بعد أن رفضت اللجنة عنوان بحثه الذي أمضى فيه فصلاً دراسياً كاملاً يفتش عنه، مرت الدقائق ثقيلة وكأنها ألف عام، أحسّ باللا جدوى ففي الشدائد تفقد الساعة ملامحها، ويصبح الوقت طويلاً مملاً ويفاقم أزممتنا!!

حسرة

فتحت التلفاز على أخبار الحروب والمجاعات، رفعت مرآة بيدها، تأملت
وجهها ملياً قائلة: أنا مجرد فوضى عارمة أقف في منتصف الطريق لا ألقى
بالاً للمارّة، أحب المطر والحلوى، ما بال البشر لا يبتسمون؟ وما هذه
الوجوه العابسة؟ ليت السماء تمطر الكثير من الحب والحلوى ليحلو مذاق
الحياة.

مجرد سؤال

سأل جده: لماذا سنعذب في القبر؟ رد الجد بضحكة ساخرة: أكيد سنعذب، لأننا تركنا عقولنا في أيدي من ليس لهم عقول، ولم نتدبر أمر آخرتنا بوضوح. هكذا سنعذب في القبر لأننا لم نستشعر نعمة العقل.

قصيدة

كان في ضلال من أمره ويردد أبيات الشاعر الإسباني لوركا:
آه..... يا حب ما أقسى أن نتوزع بين رماد الفائت والخوف القادم
من أن نجتر اليوميات. فأحس برغبة شديدة للسفر لإحدى الدول العربية
ليكمل ما تبقى من مشاعره.

وجع حزين

في كل مرة كانت تتساقط منه أكوام الحزن،
يجمع أشلاء الأيام،
ويتمائل لفوضى الوجع.

ثأر

وقف أمام قلعه وجهاً لوجه، شتمه، بصق عليه، صفعه،
أوسعه ضرباً، اعتذر منه، ثم نام بجانبه، فهو رفيقه السرمدى.

زيف

بدا شديد الكآبة وهو يودع زوجته في المطار، شبك يديه وكأنه يعاني من أزمة تضنيه، مرت بجانبه امرأة جميلة، أصلح من هندامه، وتبعها.

تأمل

تأبط الوحدة، وطرح على نفسه أسئلة حزينة بحجم حزن جميع أطفال أفريقيا، وبهدوء مستفز، انسلخ من أفكاره وعاد إلى روتينه اليومي المليء بالتشاؤم.

الحب الحرام

في عينيها حزن غائر كحزن فلسطين، وفي شفثيها ييباس الصحراء،
دفنت أجمل غرام عرفته تحت تراب العادات والتقاليد، ثم سافرت لتقابله
في بلد آخر.

معارض

رأى السجن بيتلغ أصدقاءه واحداً تلو الآخر فانسحقت داخل نفسه كل ذرة للمعارضة، غير عنوانه، غير الكتب التي يقرأها، ثم غير وجهه بعملية تجميل.

خبية

بدا شاحباً وكأن الدم هرب من وجهه، وحياته أشبه بحياة الجثث
المحنطة، فلم يؤمن بموهبته أحد، ولم يلتفت له النقاد، فكر قليلاً جمع
لوحاته أحرقها، ثم جلس وأشعل سيجارة وهو يردد:.. لست أفضل من ابن
رشد.

مسؤول

الألم الحاد الذي استيقظ في صدره لم يمنعه من تعنيف ابنه، وضرب زوجته، وشتم مديره، تعود أن يُسقط خيباته وفشله على من حوله، خلعتة زوجته، وطرده مديره، وعاد يفتات الوحدة والفقر.

فنجان قهوة

قبض على فنجان قهوته السوداء، أدار الفنجان بين أصابعه، خاطبها قائلاً: تحضرين بفتنة، وتزيلين التعب والملل، وكلما غبتِ بحثنا عنك كالمجانين، إن أحببنا كنتِ نعم الرفيق الثالث، وإن أصابنا اليأس كنتِ أنتِ الموسية، الأكيد أنكِ صديقة الفقراء والمكرومين.

انعتاق

تلك الطرقات العائدة من أحراش الحزن، في كل مرة تترك له سواد الظل،
تتلاعب بالكلمات ثم تطير بلا أجنحة، كم وقتٍ تقضي لتبكي وتشرح
جروحها مثل فرجينيا وولف، يا لخياله الذي أصبح هو المجاز الوحيد
المنعتق من آثار التحريم والتجريم والتكفير، وبالرغم من ذلك ما زال
صامداً في وجه الواقع.

حكمة الفناء

كانوا أطفالاً تعساء كئيبين, كبروا وأصبحوا رجالاً ونساء تعيسين،
كئيبين يخفون ندوب جروحهم خلف ملابسهم الأنيقة, هو عمل لا يتطلب
الحظ ولكن يتطلب قليلاً من الشفقة.

تَشْظُ

ولأنه يوحد بأصابعه نار الحقيقة، كان يبتكر مواعيد تلقائية مع المجهول،
فيصبح روحاً بعيدة تنفرط في لذة الغياب والتسامح مع الخيال ونسيان
الواقع، وكلما أزفت ساعة الحنين ضاع في أشواق البعد اللعينة ثم أقفل
شاشة الحلم.

مواسم الفرح الحزينة

كان يلزمه شيء من الشعور، وقليل من الإحساس، كي يدهن مسافة البعد في الذاكرة بلون الرماد، كان المطر هو الحارس الأمين على الذكريات، ليتبادل معه كل جنون العشاق وأحلامهم البسيطة وحكاياتهم الندية، وليهذب سلوك الوقت، ليقيم مراسم الدفن ويواري ذكرياته الثرى.

عربي جيد

هكذا صاح ليتل سيرز: العربيّ الجيّد هو العربيّ الميّت! (١) تساءل: هل يعقل أن يكون كلامه صحيحاً؟ انتفض كمن لدغته حية, فتح نافذة أحلامه خارج حدود ذاكرته فلم يرَ إلا الدمار والقتال والاقنتال بين العرب, بحث عن تاريخ أبيض لكنه لم ينجُ من برائن الألم! تساءل مرة أخرى...: يا ترى من يعاقب هذه البشاعة التي لحقت واستبدت بنا؟ من يجلس في كرسي الاعتراف ليواجه التاريخ بسواده ويفضح جهله؟ من جعل سمعة العربي سيئة؟ أتراه شيئاً عادياً كلما تلبس العالم الشر أشاروا بأصابعهم نحونا؟ حاصرته الأسئلة بشراسة، فانتحر ليصبح عربياً جيداً.

(١)-رواية العربي الأخير, واسيني الأعرج, دار الآداب, ٢٠١٦.

فضاء ممتلئ

ولأن فضاء مساءاته لا يصحو إلا على الأشواق وصوت إيقاع من يحب,
كان يتأمل صورتها, لم يستطع مغادرتها, فهو يشكو من وجع الحنين, أما
الآن فهو مريض بالأسرار وبالتحديد من سره الدفين المكتظ بصورها
وصوتها ودفء أخذه منها ذات رحيل.

فم العادات

هي أيضاً عيل صبرها منها, واستسلمت لصعلكة الحياة وجورها, عانت من الإهمال والرفض والإقصاء زمناً طويلاً, حتى رأت في أحلامها أنها مجرد هشيم طين يذروه الريح, وعندما استيقظت من حلمها وجدت أن حياتها غرست في فم العادات والتقاليد شجرة صبار مليئة بالأحلام الناسفة الوعود.

رأي آخر للصباح

صامت عن رغباتها وعن ممارسة الحلم, أغلقت كل كتب الحب, وملاّت الليل بالانتظار والترقب, مع أن الصباح في الغالب له رأي آخر, قد تكون سندريلا الحكايات التي أضاعت خف الحب وسط ضجيج المحظورات, وقد تكون التفاحة المحرمة كما تقول الاساطير, الأكيد أنها سيّدة تعثرت بالحيرة, وغرقت في بحر الإقصاء.